

## التناسخ والكارما

لم يكرس شتاينر وقته كاملاً للمهمة الأهم في حياته المهنية سوى خلال آخر سنوات حياته. لقد كان الفيلسوف شتاينر مهتمًا بمسألتي تناسخ الأرواح والكارما، ولهذا، فقد خصص سنواته الأخيرة لنشر حقيقة تناسخ الأرواح والكارما بطريقة تناسب مع التفكير الغربي. لم يلتزم شتاينر بهذه المهمة إلا بعد مرور فترة طويلة من المرحلة النيووصوفية التي مرّ بها، ولم يكن ذلك محض صدفة لأن أقواله تتطابق مع معظم التعاليم الشرقية بشكل كبير، ولم يكن يرغب في أن يخلط القراء بين تصوّره الخاص عن تناسخ الأرواح والكارما والتصوّر الشرقيّ لهما. يقدم شتاينر مقدّمة ممتازة (وضرورية) عن الموضوع في كتابه "العلم الباطني"، وتحديدًا في الفصل "النوم والموت". صحيح أنّ تشبيه النوم بالـ"الموت القصير" قد أصبح استعارة مُرهقة، ولكنّه يبقى تشبيهًا صحيحًا، فكّما خلدنا إلى النوم ليلاً، غادرت أرواحنا أجسادنا حتّى نتواصل مع العالم الروحانيّ، ولكننا ننسى التجربة حالما نستيقظ من النوم. وبنفس الطريقة، نحن نتواصل مع الكائنات الروحانية خلال فترة أطول نقضيها في العالم الروحانيّ، أي خلال فترة تناسخ الأرواح. وقبل أن نولد من جديد، نشرب من نهر النسيان "ليثي". يصف ووردسوورث تجربتيّ الموت والبعث بالـ"نوم والنسيان". إنّ انبعاثنا من الموت لا يختلف أبدًا عن استيقاظنا من النوم صباحًا: نحن نولد من جديد في كلّ مرّة.

تسعى نظرية تناسخ الأرواح إلى فهم تطوّر الوعي، والعكس بالعكس، ولكنها تخلق أيضًا توازنًا في حوادث الولادة الظاهرية، أي الطبقة الاجتماعية والهوية الجندرية، والهوية العرقية، ومدى توقّف الفرص في الحياة، إضافة إلى جودة الحياة والتّمتع بالرّفاهية العالية التي تقدّمها التكنولوجيا، وغيرها. يرى شتاينر أنّنا نتناوب بين الجنسين وبين الثقافات خلال العديد من عمليّات تناسخ الأرواح، وفي كلّ عمليّة، تمتصّ أرواحنا (أو على الأقلّ، تسنح لنا فرصة لذلك) أفضل ما تقدّمه تلك الثقافة. إنّها نظرة عالميّة بامتياز: جميعنا نتحوّل تدريجيًا، عن قصد أو غير قصد، إلى مواطني هذا العالم، وإلى ذوات بشريّة مكتملة. وكلّ القدرات التي نكتسبها بفضل العمل الجادّ (أو بسبب المعاناة، أو التجارب

الأخرى) في تناسخ روحيّ أوّل، تتحوّل إلى مهارات في التناسخ الروحيّ الذي يليه. إنّ الذكاء ليس وليد الصدفة.

ومعاً، يُفضي تناسخ الأرواح والكارما إلى إرساء العدالة والرّحمة في هذا العالم بشكل ملموس، عوضاً عن الوعد المبهم بالجزاء في عالم آخر. بعبارة أخرى، تتحوّل نجاحاتنا إلى مهارات جديدة، في حين تتخذ تجاربنا الفاشلة وذنوبنا أشكالاً أخرى في حياتنا الموائية، من قبيل ما تبدو في ظاهرها أحداثاً عرضيّة وخارجيّة. إنّ الكارما رحيمةٌ لأنّها تسمح لنا باختبار عواقب أفعالنا وتفتح لنا باب التّموّ والتمّتع بالمكافآت. إنّها قانون أسمى من القوانين الدُّنياً لأنّه يدفعنا إلى الكمال. حدّرتنا شتاينر من التّعقيدات الهائلة التي تتميز بها قوانين الكارما، وأنّ الكارما خَلّاقةٌ للغاية، ولذلك، تحوّل شتاينر بشكل سريع من تقديم مجموعة من الدّروس حول بعض المبادئ الأساسيّة إلى شرح سلسلة طويلة من أمثلة عن السير الدّاتيّة لشخصيّات تاريخيّة حقيقيّة. تعتبر عبارة "دراما" النّظير اليونانيّ للكلمة السنسكريتيّة "كارما"، ولذلك، دعانا شتاينر إلى اعتبار تجاربنا الحياتيّة سلسلّةً من الأعمال الدّراميّة الأخلاقيّة، أو إلى اعتبار الكارما نَحّاتاً ينحت طينا حيا. وبما أنّ شتاينر يؤكّد على أنّ "الكارما هي الفنّان الأعظم على الإطلاق"، فذلك يعني أنّ حياتنا هي العمل الفنّيّ الأعظم على الإطلاق. كلّ ما نقوم به وكلّ ما نعاني بسببه يحمل معنى ذا أهميّة كبرى.

فريدريك آميرين

" اكتشاف عبقرى: رودلف شتاينر في عامه المائة والخمسين "